وتكون نزهته المناجات لعالم غيبه، وهذا مجرب صحيح. قال أبو طالب: وإنما يكون المريد صادقا
حتى يجد في الخلوة من الحلاوة والنشاط والقوة ما لا يجده في العلانية، وحتى يكون أنسه في
الوحدة، وروحه في الخلوة، وأحسن أعماله في السر. الفائدة الثامنة: راحة القلب والبدن
فإن في مخالطة الناس ما يوجب تعب القلب بكثرة همه وغمه، وتعب البدن بالسعي
في أغراضهم وتكميل مرادهم، وإن كان في ذلك الثواب فقد يفوته ما هو أهم وهو مدد
وجمع القلب في حضرة الرب. الفائدة التاسعة: صيانة نفسه ودينه من
التعرض للشرور والخصومات التي توجبها الخلطة، فإن للنفس تولعا وتسارعا
للخوض في مثل هذا إذا اجتمعت بأرباب الدنيا وزاحمتهم فيها. وللشافعي رضي الله عنه:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها • وسيق إلينا عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا وباطلا • كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة • عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها • وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فطوبى لنفس أوطنت قعر بيتها • مغلقة الأبواب مرخى حجابها

الفائدة العاشرة: التمكن من عبادة التفكر والاعتبار، وهو المقصود الأعظم من الخلوة.
وفي الخبر: تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة. وكان عيسى عليه السلام يقول:
طوبى لمن كان كلامه ذكرا، وصمته تفكرا، ونظره عبرة. وإن أكيس الناس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت. وقال كعب: من أراد شرف الآخرة فليكثر من التفكر. وكان أفضل
عبادة أبي الدرداء التفكر، وذلك لأنه يصل به إلى حقائق الأشياء ويتميز الحق من الباطل.
ويطلع بها أيضا على خفايا آفات النفوس ومكايد العدو وغرور الدنيا، ويعرف بها
وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة منها. قال الحسن رضي الله عنه: الفكرة مرآة تريك
حسنك من سيئك. ويطلع بها أيضا على عظمة الله وجلاله إذا تفكر في آياته ومصنوعاته

ويطلع

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

٣٧

ويطلع بها أيضا على آلائه ونعمائه الجلية والخفية، فيستفيد بذلك أحوالا سنية
يزول بها مرض قلبه، ويستقيم بها على طاعة ربه. قال الشيخ ابن عباد رضي الله عنه:
فهذه ثمرات عزلة أهل البداية، وأما أهل النهاية فعزلتهم مصحوبة معهم ولو كانوا
وسط الخلق، لأنهم أقوياء رضي الله عنهم محجوبون بالجمع عن الفرق وبالمعنى عن الحس. قد
استوى عندهم الخلوة والخلطة، لأنهم يأخذون النصيب من كل شيء، ولا يأخذ النصيب
منهم شيء. وفي هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه:

الخلق نوار وأنا رعيت فيهم • هم الحجب الأكبر والمدخل فيهم

فإذا أضاف المريد إلى العزلة الصمت والجوع والسهر فقد كملت ولايته، وظهرت
عنايته، وأشرقت عليه الأنوار، وامتحت من مرآة قلبه صور الأغيار. وقد أشار الشيخ
إلى بعض ذلك متعجبا من ضده فقال: كيف يشرق قلب صور الأكوان
منطبعة في مرآته. يشرق بضم الياء أي يستنير ويضيء. وصور الأكوان أشخاصها
وتماثيلها الحسية والمعنوية. والأكوان أنواع المخلوقات دقت أو جلت. وقد
منطبعة أي ثابتة. وانطبع الشيء في الشيء ظهر فيه. والمرآة بكسر الميم آلة صقيلة
ينطبع فيها ما يقابلها، فكلما قوي صقلها قوي ظهور ما يقابلها فيها. واستعيرت
هنا للبصيرة التي هي عين القلب التي تتجلى فيها الأشياء حسنها وقبيحها. قلت:
جعل الله قلب الإنسان كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها كل ما يقابلها، وليس لها إلا
جهة واحدة. فإذا أراد الله عناية عبد أشغل فكرته بأنوار ملكوته وأسرار
جبروته، ولم يعلق قلبه بمحبة شيء من الأكوان الظلمانية والخيالات الوهمية،
فانطبعت في مرآة قلبه أنوار الإيمان والإحسان، وأشرقت فيها أقمار التوحيد وبدور
وشموس العرفان. وإلى ذلك أشار الششتري في بعض أزجاله بقوله:

أغمض الطرف ترى • وتلوح أخطارك • وافرغ عن الورى • تبدو الآثار لك

Copyright © King Saud University